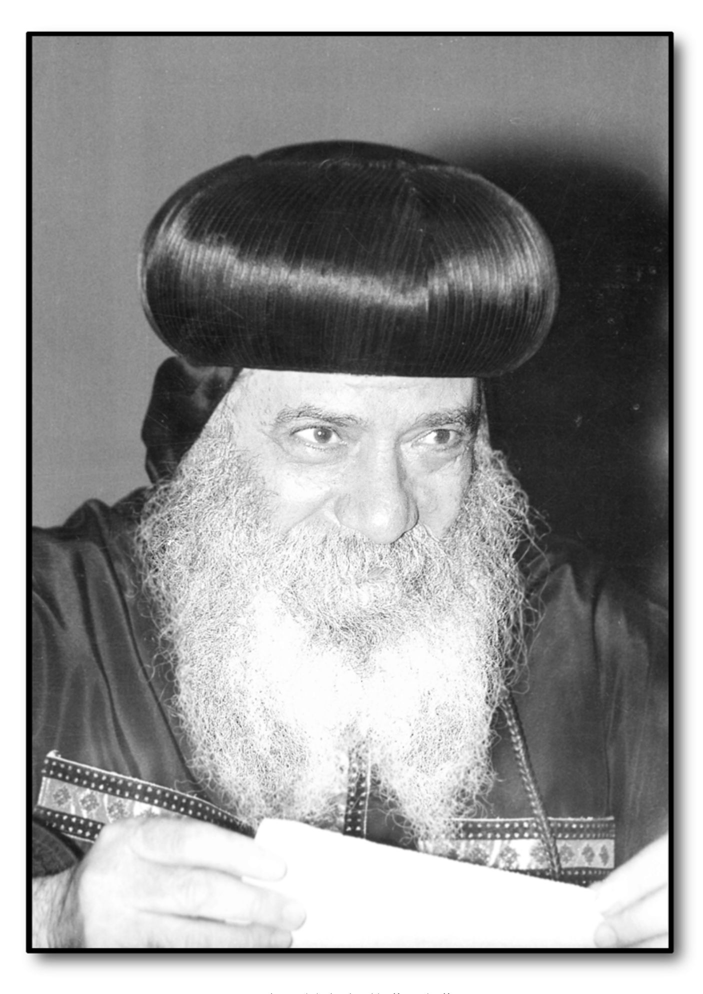
القديسة مريم التائبة
والأنبا إبراهيم المتوحد

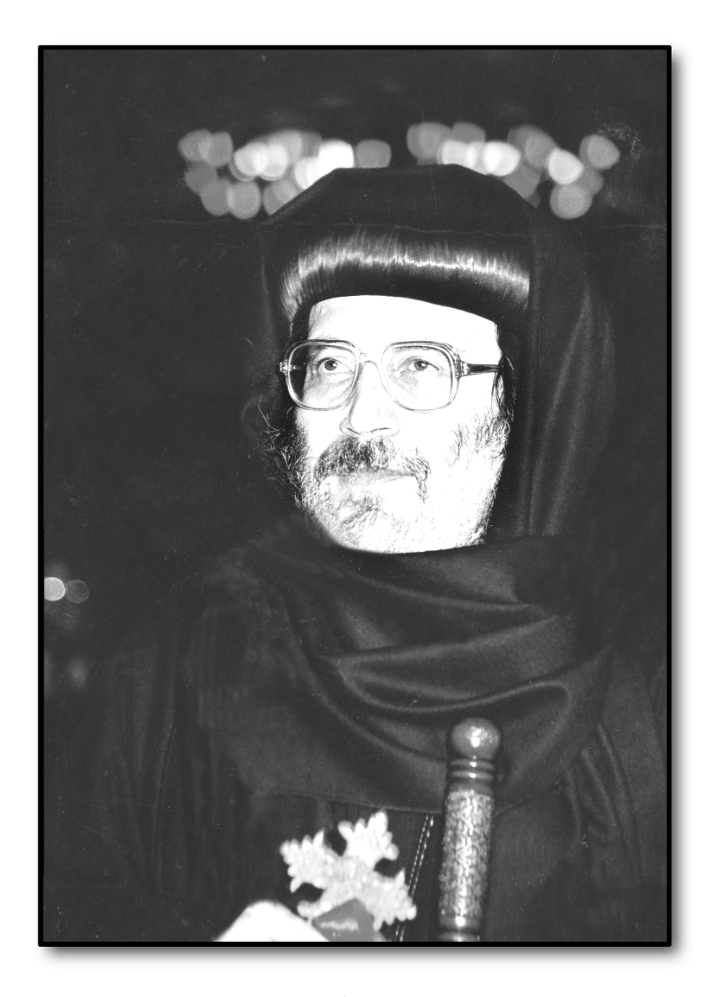
القمص بيشوى عبد المسيح
وكيل مطرانية الأقباط بدمياط



قداسة البابا المعظم

الأنبا شنوده الثالث

بابا الأسكندرية وسائر أقاليم الكرازة المرقسية (الـ ١١٧)



حضرة صاحب النيافة جزيل الاحترام

الأنبا بيشوى

مطران دمياط وكفر الشيخ وكل تخومها ودير القديسة دميانة

مقدمــة

لا سبيل إلا التوبة ..

نكمل حديثنا عــن طريق الخلاص الذى رسمــه لنا الإنجيل منذ بدأ بشارة الــسيد المســيح له المجد "حــيث نادى قائلاً: توبــوا لأنه قد اقــترب منكم ملكــوت السمــوات وقصــدنا أن نوضح ذلك بأمــثلة حقيقية من تاريخ كنيستنا".

وقد قدمنا مثال عن قوة التوبة والاعتراف فى حياة (القديسة مريم المصرية) ومثال آخــر عن قوة التوبة لتجديد الحــياة وعمل الرجاء فى حياة يعقوب التائب وهنا نتــحدث عن التوبة وكيف تعيدنا إلى رتبتا الأولى من حياة مريم التائبة.. التى تحدثنا عن :

١ - لزوم التوبة لكل أحد إلى النهاية

فما دمنا فى الجسد فنحن نحــتاج إلي التوبة وليس أحد بلا خطية ولو كــانت حياتــه يوماً واحــداً على الأرض. لذلك نحن نصلى كل يوم قــائلين : «توبى يانفــسى مادمــت فى الأرض ساكنة (صــلاة النوم) فلو قلنا أننا بلا خطية نضل أنفــسنا وليس الحق فينا، وإن اعترفنا بخطــايانا فهو أمين وعادل حتى يغــفر لنا خطايانا... ولكن لماذا يحتاج الإنسان بكل إرادتــه أن يقدم توبة ورجوع وندامة عن خطاياه؟ الإجــابة : أن الله ترك الإنســان فى العــالم بعــدما ســقط بغــواية الحيــة وأعطى الحرية وخــيّر بين الخــير والشــر (الحيــاة والموت) وأُعُتبرَ له إمتحاناً!

ولما كان الإنسـان يختـار بكل رغبـاته وإرادته أن يسلك في طريق الخطيـة كان لابد له إن أراد الرجـوع عنهـا أن يعمل بكل رغـبتـه وإرادته- فهـو كمـا كان قبل اغـراءات إبليس ومال إليـها بإرادته وهب أن يرجع عن غيّه نادماً باكيـاً حتى تتطهر إرادته من الخطية وهى المعبر عنها بالتوبة.

وكما سمعنا صوت إبليس المخادع هكذا يجب أن نسمع صوت الله ينادينا لنرجع .

هوذا الرب ينادينا

هوذا صـوت الرب ينادينا كل يوم للتـوبة وروحه القـدوس يبكتنا على خطيـة وعلى بر وعلى دينونة. فـالكل مدعـوون بلا إستـثناء للتوبة غير أن القليلين جداً هم الذين يسـتجيبون لنداء الله ومن ثم يرجعون إليـه أما الباقون وهم الأغلبية فـمنهم من يهرب من وجه الرب يلقى بنفسـه فى مباهج العالم بجنون إذ يخـيطون لأنفسهم مآزر من ورق التين عبـثاً وخديعة ظانين أنهم بذلك يخـفون عورة الخطية. ونريد أن نوضح بعض الشئ عن هؤلاء فنتكلم عن :

لماذا نهرب من وجه الرب ؟

لقد نادى الرب قديماً آدم المخالف قائلاً: «أين أنت؟».

ولم يفـهم آدم كنه هذا النداء العجـيب! فخـاف من الله وهرب من أمام وجـهه ظانا أن الله ظالم للإنـسان يريد إهلاكه والتـحكم فى

حريتــه خادعاً إياه بكلام ووصــايا ومتوعـد له بالعذاب الأبدى إن أخطأ ومتربصاً لأية هفوة تصدر عنه حتى ينتقم منه فوراً؟!!

هكذا علمــته الحيــة بافتــراء كذب على الله. هرب يونان أيـضاً من وجه الرب إلى ترشيش.. لنفس الأسباب ولكن من ناحية أخرى.

لكـن باللافـتراء والخديعـة الظاهـــرة! التـى بثها إبلـيس فى عقل آدم ومــلأ بها عـقـله وقلبـه وأبنـاء كـثيرين من أبنائه فـيمـا بعد حتــى نشــأوا لايعلمون من هو الله؟! لذلك فــهم آدم نداء الله على هــذا الأســاس خـطـأ وهكذا أيضــاً نـحن مـازلنا كـثـــيـراً نضل ونخطئ.

وما هو المعنى الحقيقى لهذا النداء؟

لقد نادى الــرب الإله آدم بعد أن سقط وهــو عالم بما فعلــه فلماذا ناداه؟ الإجـابة على ذلك: أن نداء الله المحب للبـشــر إحتــوى على معانى رائعة تحمل الإنسان على الشفاء من جروح الحية القديمة:

فهو يحمل معنى الحب للبشــرية التى جعلت القديس غريغوريوس يصيح قائلاً : «خلقتنى إنساناً كمحب للبشر ولم تكن أنت محتاجاً إلى عبــوديتى بل أنا المحتــاج إلى ربوبيتك، ويحــمل معنى الرغــبة المتزايدة فى رجــوعه إليه كـمـا يحمل مــعنى الإيقاظ له من ســباته بقوله له (أين أنت) الآن.

كما يحمل أيضاً معنى التـفتيش، وأراد الرب أن يؤكد كلامه بنبوة عن تجسده العتـيد مع التمثيل لذلك قيل «سـمعا صوت الرب الإله ماشياً فى الجنة».

وهكذا أعلن الرب محبته ورغبتـه فى خلاصنا فى مرات كثيرة فى الكتاب المقدس. ورغم ذلك كثيراً ماينسى الإنسان محبة الله ويفقد معرفته له كما يحمل طبيعة نفسه؟!! لذلك نتساءل:

من هو الله ؟

إنه من المحزن جـداً أن يرانا الله نجهل صـفاته فلا نـدرك حقيـقة خـلاصه العـجيـب مع أنه أوضح لنا مشـاعـره من نحونا مـرات كثـيرة. وقـد نادى يوحنا المعمـدان قائلاً : «الله لم يـره أحد قط». فكيف يمكننا أن نعرفه؟!

لم يتـركنا النبى نتـخبط لأنه أكـمل قـائلاً الإبن الوحيـد الذى فى حضنه هو خبر- أجل فهو صورة مجد الله ورسم أقنومه.

وإن سألنا ماذا قال الإبن؟!

يخبرنـا الإنجيل أنه، أجابنا قائلاً: هكذا أحب الله العـالم حتى بذل إبنه لهما (الله محبة)...

لقد أحبنا الرب هذه المحبة غير المحدودة! فلا نقرأ عن أية واقعة فى الكتاب المقـدس تتحـدث عن موضوع السـقوط والتـوبة إلا ونقرأ بعدها صـدى شديد لمحـبة الله وعواطف رأفـته وخلاصـه المنتظر

ويكفى أن يصـــور لنا الكتـــاب الله أنه يرتضـى أن يكون الذى مــثل بالبشر كنادم على الشر، فهل الله إنســـان فيندم حاشا! لكن ليظهر لن محبته نحونا وترقبه لآية حجة حتى يعطينا الخلاص!!

وهو يريدنا بذلك أن نبـادله نحن البـائسين غيــر المســتحــقين تلك المشاعر لقــد عبر القداس الكيرلسى عــن ذلك بقوله «إذ سررت بنا نحن الخطاة غير المستحقين أن نخدمك»..

فالله يسر بتــوبتنا ورجوعنا فيظهر حبه لنا ويريدنا أن نــستجيب لندائه كى يورثنا الملكوت معه، ونحن ما أشــقانا حينما لايكون لنا شــعـــور البنوة من نــحــو أبوته.. لماذا نــصــبح غـــرباء عن الرب بمشاعرنا الرديئة؟!

وهذه القصة الحقيقية تبين لنا :

إن الرب ينتظر الضـــالين، يستــقبل الراجعــين إليه ويلبســـهم الحلة الأولى بعد فــقدانهــا ويذبح لهم العجل المســمن ويجهــز لهم خاتم الاختصاص بمــلكه بل خاتم الخطبة لنفوسهم ويلبســـهم حذاء البر ليسلــكوا فى طريق جديدة ويصـــالحهم مع أبيــه ويعطيهم عــلامة المصـــالحة وهو عــربون الروح فى داخلهم لكى يــشهــد أنهم أبناء وورثة. وبالإجمــال أنه يفرح! والدرهم المفقود رجــوع ابنه الضال لأنه وجد الخروف الضال.

٣٠ طوبة تذكار نياحة القديس إبراهيم المتوحد

١

أنبا إبراهيم المتوحد

نبذة عن حياته

هو القــديس إبراهيم الذى ولد ببــلاد مــا بين النهــرين (بمدينة الرها Edessa) فى بداية القـــرن الرابع الميــلادى من أبــوين غنيين تقيين فشب على حيــاة التقوى محباً للعبــادة حتى أنه إشتاق منذ صباه أن يكرس نفــسه للّه وحده ويخصص له كل محــبته، وظل مــدة طويلة يحــدث اللّه بــأشواقــه هــذه طالبــاً منه أن يدبر أمــر خلاصه.

هروبه وتكريس حياته

توالت الأيام وإزدادت معها أشواق القديس لتــتميم ما شعر به في نفسه ويقال إنه هرب مســاء يوم من بيته، ولما شعر والده بما فعل أرسل أناساً يطلبونه وبعــد مايقرب من ١٧ يوماً وجدوه فى مغــارة تبعــد عن المدينة بنحو مــيلين فأســرع إليه أبواه مع بقــية أقربائه باذلين جهدهم لكى يرجع معهم غــير أن القديس كاشفهم بما فى نفسه وحــدثهم عن أباطيل هذا العالم معلناً محبــته القوية للانفراد فى البــرية للتعبد لــلّه... ولما شعروا بعجــزهم عن إقناعه بالرجوع تركوه ورجعوا إلى مدينــتهم، غير أنهم قبل أن يغادروا مكان القديس سألوه عن أى شئ يطلبه فــأجابهم بأنه يطلب شيئاً واحداً هو ألا يفتقدوه فيــما بعد أو يقلقوه فى خلوته، فأجابوه إلى طلبه لعلمهم أنه سوف يرحل عن ذلك المكان إلى آخر لايعلمونه إن هم خالفوه فى طلبه.

(*) يبدو أن القديس كان له بعض التلاميذ يحضرون إليه إحتياجاته.

توحد القديس

أغلق القديس باب مغارته ولم يترك سوى كوة صغيرة كان يتناول منها مأكله ومشربه فى أيام معينة (*). وكان القديس وقتئذ يبلغ العشرين من عمره. ويقال إنه قضى فى توحده مايقرب من الخمسين عاماً وقد كان مثالاً حسناً للمتوحدين فكان بسيطاً للغاية لايملك سوى إنائين من الخشب أحدهما للماء والآخر للمأكل هذا بجانب حصيره الذى يرقد عليه وثوبه الذى يرتديه وكان من شعر الماعز وكان يسبح فى حضرة الله بلا هم ولا ثقل ولافتور. وعرف عنه أنه مع شدة تقشفه كان وديعاً تلوح على وجهه علامات البشاشة والمحبة والسلام دائماً.

كرازة القديس

«إذاً نسعى كسفراء عن المسيح كأن الله يعظ بنا» (٢ كو ٥ : ٢٠)

لانعلم نظام توحد هذا القديس- وهل كان أبا لتلاميذ كثيرين أو لا؟ لأنه قد ذكر أن أسقف تلك المنطقة (وهو القديس يعقوب السروجى على الأرجح) طلبه إليه...

لكن القديس قام ليهرب من مكانه، ولما علم أن هناك قرية قريبة منه مملوءة بالوثنيين ولم يستطع أحد أن يبشر فيها بالإيمان المسيحى من قبل، مضى إليها، لأنه شعر بدافع قوى يدفعه للشهادة على اسم المسيح.

إضطهاد الوثنيين للقديس

لم تكد أقدام القديس تستقر فى تلك القرية حتى بدأ ينادى لهم

باسم المسيح ويعلن إيمانه، فتجمع حـوله الوثنيون، واستهزأوا به ولعنوه بإلهه معلنين عظمة آلهتهم الكاذبة. لكن القديس إستمر فى كـرازته، فلمـا رأى الأشــرار منه هذه الـعـزيمة القـوية أمـسكوه وضربوه بقساوة ووحشية ثم طردوه خارج القرية.

صرف القديـس الليل كله مصلياً من أجلهم ومتـذللاً أمام اللّه يستـعطفه ويطيل السـجود أمامـه من أجل هؤلاء حتى يفتـقدهم الرب برحمته ويعرفهم خـلاصه وكان يشكر اللّه لأنه حسبه أهلاً لأن يهـان من أجل إسـمه ثم طلب من الـلّه أن يقبل مـنه ذبيحـة جسده وينعم عليه بإكليل الشهادة.

إحتمال ومثابرة وصبر عجيب ؟

مـضى الوثنيـون فى اليـوم التالى لـينظروا ما كـان من أمـر القديس فتعجبوا لما وجدوه يصلى حيث تركوه، لأنهم ظنوا أنه فر خوفاً منهم فجعل القـديس يعظهم بكلام الحياة لعل قلوبهم تتأثر لكن حدث أن إشتد غيظهم عليه فضربوه حتى أشرف على الموت ثم ربطوه وجروه خارج القرية وتركوه ومضوا، غير أن الله الذى ينجى قديسـيه من جمـيع أتعابهم نجاه من أيديهم فلمـا أفاق من مرضه وقف يشكر اللّه ويصلى من أجلهم ثانية!

ولما ذهب الوثنيون فى اليوم التـالى إلى مكان القديس مؤملين أن يجـدوه قد فـارق الحيـاة وجدوه واقـفـاً يرتل بالمزاميـر وهو مبتهج القلب جداً فاشتد غيظهم عليه غير أنهم مضوا وتركوه هذه المرة فقد تحيروا من أمره.

الرب يحرك قلوبهم

لقد حان الوقت الذى طالما انتظره هذا الآب القديس وإحتمل الكثير من أجله- وقت الإثمار- إذ عندما اجتمع الوثنيون ذات يوم لأمر ما تذكروا هذا القديس متعجبين من قوة إحتماله العجيب وصبره ووداعته، وكانت هذه فرصة لعمل روح الرب فيهم ليؤمنوا إذ حرك الرب قلوبهم فاتفقوا جميعاً على أن يمضوا إلى القديس...

الرب يضم الذين يخلصون إلى كنيسته

لانعلم بالضبط ما الذى دفع الوثنيين إلى أن يمضوا إليه سوى أن ذلك كان من الله كما حرك فى القديم قلب كورش ملك فارس لإطلاق شعب الله (عزرا ١ : ١،٢).

... ذهبوا يبحثون عنه ليسألوه عن سر جمال حياته وكيفية إحتماله الغريب وعن فرحته وسعادته رغم ما أنزلوا به من الآلام والأتعاب الشديدة! ولماذا قابلهم بهذا الصفح العجيب وأظهر لهم هذا الحب الكثير؟!!

أما هو فخاف لأول وهلة من مقابلتهم ولما إطمأن إليهم رحب بقدومهم فسألوه عمن هو إلهه؟ فأجابهم إلى سؤالهم...

وظل القديس يكلمهم ويعظهم بكلام الحياة الأبدية حتى نسوا أنفسهم عنده إلى المساء، وكانوا منصتين إلى حديثه المؤثر اللذيذ لأنه كان يكلمهم عن (التسامح المسيحى، ومحبة الأعداء، والصفح عن المسيئين، ومحبة الله لنا نحن الخطاة...) فتأثر بعضهم

وانطرحوا أمامه باكين طالبين منه أن يصفح عما أساءوا به إليه وانصرفوا نادمين من أمامه. كانوا يعودون إليه لسماع كلام الحياة وأخيراً طلبوا منه أن يعمدهم على اسم الثالوث الأقدس فأرسل واستدعى أسقف المنطقة الذى لما حضر عمد منهم مايزيد على الألف... وأقام القديس بهذه المنطقة بعض الوقت ليُثبتّ فى الإيمان الذين تعمدوا ثم أودعهم نعمة اللّه ومضى. وعند خروجه من القرية رسم عليها علامة الصليب ثلاث مرات.

عاد القديس إلى حياة التوحد ثانية دون أن ينال بغيته فلم يحصل على إكليل الشهادة غير أنه شكر اللّه لأجل هذه الثمار التى صنعها الرب على يديه، لكنه رغم ذلك كان يفكر:

لماذا حرم من الاستشهاد؟!!

(سنرى أن الرب يكشف له إرادته المختارة، لأنه لابد أن يرجع هذا القديس إلى التوحد ثانية لكى يستعد لأمر هام- فالإرادة الإلهية أعدت له إبنة حتى تكون فى رعايته ألا وهى القديسة مريم التائبة).



صبية تترهب بجانب عمها

«لى اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جداً، لكن أن أبقى فى هذا الجسد ألزم من أجلكم».

(فيلبى ١ : ٢٣)

التقاء مفاجئ

بدأت قصة هذه القديسة بهذه الكلمات :

«ما كاد يستقر هذا القديس فى وحدته حتى سمع أصوات كثيرين يطلبونه خارج القلاية. وكانوا ملحين فى طلبهم كما لو كان ذلك لأمر هام جداً..!! فخرج الأب إليهم ليعرف ماذا كانوا يطلبون؟ ففوجئ بأنهم يقدمون إليه طفلة صغيرة لم تتجاوز السابعة من عمرها هى إبنة أخيه التى كان قد مات أبواها وتركاها وحيدة ولم يكن لها أقرباء يمكنهم أن يتكفلوا بها سوى هذا الأب الطوباوى..»

حمل صغير بين يدى الراعى

يالحكمة اللّه العالية وبعد أفكاره عن الإستقصاء لأن من عرف فكر الرب أو من صار له مشيراً..!!؟

فقد سمحت عناية اللّه أن يبقى هذا القديس دون أن يستشهد حتى يكرز باسم المسيح ويرد قرية بأكملها إلى الإيمان المسيحى كما سمح أن يرجع إلى وحدته حتى يتسلم هذه الوديعة التى ألقيت على عاتقه الآن فتكون فى رعايته.

رأى هذا الأب أن أفضل طريقة للمحافظة على هذه الوديعة هى أن يسكنها فى الغرفة الداخلية لقلايته وقد كانت هناك نافذة بين الغرفتين ومن خلالها كان يعلمها المزامير وقراءة الكتاب المقدس. كانت الصبية مطيعة لعمها وكانت تتمثل به فى أعماله فكانت تسهر معه فى تمجيد اللّه وترتيل المزامير باشتياق وغيرة عظيمتين. وسارت على هذه الطريقة فى الحياة حتى نمت فى الفضيلة...

رهبنة القديسة (١)

مرت الأيام وكبرت الصبية حتى وصلت إلى سن لايسمح ببقائها ملاصقة لقلاية القديس. فـبنى لها هذا الأب قلاية قريبة منه لتسكن فيها بمفردها(٢)، ولم يتركها بدون رعاية منه، غـير أنه تعهدها دائماً بالصلاة من أجلها إلى جـانب ذلك كان يفتقدها فى فتـرات ليتعرف على احتياجاتها وليزودها بما تحتاج إليه من إرشادات.

بقيت الفتاة بعد ذلك فى عيشـتها الهادئة لأنها أحبت هذا النوع من الحـياة وكـانت تسأل عـمهـا أن يصلى كثـيراً من أجلهـا لكى تستمر فى تلك الحياة المقدسـة، لذلك كانت تسير من قوة إلى قوة لاتعرف الكلل فى طريق القداسة. لقد كان تقدمها السريع فى سلم القداسة وثباتهـا فى الأعمال الصالحة سبباً فى إبتـهاج قلب عمها ومسرته لأنهـا كانت مثل الغرس النامى المثمـر، وكم كان سكونها ووداعتها ودموعها وطهارتها وجهادها الكثير للالتصاق بالرب!!

«قـضت على هذه الحـال عـشـريـن عـامـاً كـالحـمل الوديع وكالحمامة الطاهرة العفيفـة لكن شهوات طبيعتنا الفاسدة لابد أن تثور عندها وحسـد عدوناً، الذى يجول كأسـد زائر يطلب فريسة عبر بها..»

---

(١) المعلوم من تاريخ الـرهبنة أنه كـانت هناك أديرة تدعى أديرة العـذارى بقـرب المدن ولم تعـرف رهبنة العـذارى فى الصـحراء إلا بصـورة تنكرية وكن فى هـذه الحالة إمـا أن يتنكرن فى زى الرجال كـمثل القديسة إيلارية وغـيرها، أو يخضعن لأب إعـتراف يعلم بذلك مثل القديسة أنسطاسية والأب دانيال ومثل هذه القديسة.

(٢) كانت سـيرة أنبـا يعقوب التـائب السابق نشـرها نموذجاً لراهب قديس لكـنه سقط لأنه سمح لإمرأة أن تبـقى فى قلايته رغبـة منه فى خدمتها ونحـن الآن بصدد نوع آخر من القديسين قطع عنه منذ البداية كل أسباب الخطية وأغلق أبوابها منعاً لأى عثرة له.



حرية الإنسان وهاوية السقوط

«فأكلت بإرادتى وتركت عنى ناموسك برأيى وتكاسلت عن وصاياك، أنا اختطفت لى قضية الموت».

(القداس الغريغورى)

مقدمـــة

لقـد حذرنا رب المجـد نفســه بقوله المحــيى «... ها أنا سبــقت فأخبرتكم... إسهروا وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة».

وقد حدث فى نهاية العشرين عــاماً الأولى من عمر الصبية أن إبتدأ الشــيطان يثيــر ضدها حرباً عــواناً ويحبك شــراكه وينصب فــخاخــه الشريرة لإصطيــادها حتــى تقع فى حبــائله من جهــة، وليضرب عمــها الشيخ القديس بالحزن والقلق والحيرة فــيتشتت عقله من جهة أخرى، فكانت حروبه موجهة إلى الإثنين معاً.

لذلك بدأت قتالات الخطية تحارب الصبية.

تعظم المعيشة ... شهوة الجسد!!

أولاً : القديسة وحرب العالم

«محبة العالم عداوة للّه» (١ يو ٢ : ١٥)

ظلت القديســة فى سكونها وجمــال عبادتها طوال تلك الفــترة السابقة التى كانت بمثابة جنة عدن، لكن مالبثت أن حاربتها أفكار محبة العالم، فكانت تستــدعى القديس إبراهيم وتخبره عن أتعابها وهو كان يصلى كثيراً من أجلها حتى لاينشغل عقلها بأى أمر من الأمور الأرضــية- لأنها مــرة شكت له من أفكار تضايقهــا بشأن الميراث الذى كان قد تركه لها أبواها (وقد كانا غنيين جداً).

فكــان القديــس يوضح لهــا حيل إبليس وفخاخــه وكان يطلب مــن اللّه أن يرفع عنها ثقل الأفكار الشــيطانية ويحفظها بنعــمته. ثم اتفق القــديس معهــا- لأنها كــانت على مايبدو قــد وصلت إلى

سن الميراث الشرعى- علي كيفية إستخدام هذا الميراث حسناً كما بين لها أن الراهب لاينبغى أن يكون له مقتنيات بل بالحرى أن يعمل بيديه ليأكل(*) مما جعلها تطلب منه أن ينفق كل مالها على الفقراء والمحتاجين وبهذا ارتفعت عنها الأفكار الشريرة.

ثانياً: القديسة وحروب الجسد

«اللّه غير مجرب بالشرور وهو لايجرب أحداً» (يم ١ : ١٣)

كان أحد الإخوة يتردد على القديس إبراهيم، ربما لطلب المشورة، فكان فى باديء أمره يحضر لأغراض مقدسة، فاستغل عدو كل بر مجيء ذلك الأخ لتتميم إرادته الرديئة فحرك قلبه بالشر من نحو القديسة وملأ نفسه بأفكار شريرة.. فتحركت فيه الشهوة الرديئة...

أهمل هذا الأخ محاربة هذه الأفكار وتركها تملأ نفسه ولم يطلب معونة الله ضدها، كما لم يكشفها لمرشده الروحى.

ويقال أنه ظل على هذه الحال مدة سنة كاملة دبر فيها إبليس طريقة إسقاطه مع القديسة.



(*) ربما جاء أحد المعارف حاملاً إليها بعض ميراثها.

سقوط القديسة

«ويحى أنا الإنسان الشقى من ينقذنى من جسد هذا الموت؟!» (رو ٧ : ٢٤)

لسنا نعلم لماذا بدأت القديسة تفتر فى طلب معونة اللّه بقوة لأنها شعرت بفتور يجتاح حياتها الروحية ربما نتيجة أفكار شريرة (*) ولم تخبر عمها بذلك خجلاً منها، إلى أن كان يوم من الأيام بذل الشيطان فيه كل جهده لكى يستميل قلب القديسة أيضاً للشر وجاء الأخ الشقى فتهيأت الفرصة لسقوطهما معاً...!

هاوية السقوط

«إنسان كان نازلاً من أورشليم إلى أريحا فوقع بين لصوص...» (لو ١٠ : ٣٠)

هذه القديسة حالما انحدرت من علو حياتها الروحية الأولى وقعت بين لصوص :

١ - شيطان الكآبة :

ما أن سقطت الفتاة المسكينة فى فعل الشر حتى تمزق قلبها حزناً وندماً إذ أحست بفداحة الخطية فمزقت مسح شعرها الذى كانت ترتديه وابتدأت تلطم وجهها بيديها وازداد حزنها جداً وأتاها شيطان الكآبة الذى أحاطها بغمامة من الأحزان حتى يحول دون تفكرها فى خلاص الرب العجيب للخطاة وحتى يعطل توبتها. فكانت تتمنى أن يدركها الموت سريعاً فتتخلص من الخزى والعار وإذ إستبد بها الحزن لم تجد أمامها منفذاً

(١) أحياناً يكون الفتور ناتجاً من حروب الأفكار الشريرة والإهمال فى طردها.

ولا مــهرباً ولا مــيناء تركن إليــه فكانت أمــواج الأفكار الشــريرة تتقاذفها وكانت تبكى وتولول وتصرخ ولسان حالها يقول: ليتنى ماكنت ولــدت لأعيش علــى هذه الأرض لأنى لم أعــد حية فلست إلا ميتة...!

٢ – شيطان اليأس :

تلقفهــا أيضــاً شيطان اليأس الــذى يعقب السقوط وملأ عــقلها بأفكار كثيــرة فجعلها تقول لنفــسها : لقد أضعت حيــاتى وفقدت سنى نسكى وأفــســدت طهــارتى ودمــوعى وضــيــعت صلواتى وسهرى بل أغــضبت إلهى وأهلكت نفسى. واحســرتاه علىّ! ماذا سيقول عمى القديس حينمــا يعرف ما فعلت؟! سوف يتحطم قلبه بالحزن المرير... ويلى لقد صرت هزءاً وســخرية للشياطين اليوم كله! فهل لى أن أعيش بعد؟!! وإزدادت فى بكائها الشديد وأردفت تقول: واحسرتاه علىّ مــاذا فعلت؟! ويل لى وعلىّ! ماذا حدث لى! أى أمر شرير صنعت، من أى علو إنحدرت! لقد نزلت إلى أريحا... كيف إظلم عقلى وغطى الضبــاب الكثيف قلبى؟! لست أدرى كيف تدنست. كيــف لم أكن عارفة بما فــعلت وإلى أى مكان أذهب الآن وأين أختبئ؟! أين أجد حفرة ألقى بــنفسى فيها... هل كان كل هذا نتيجة تعليم عمى لى طوال هذه المدة لحفظ طهارتى حتى ماتكون نفسى غيــر مدنسة للختن السماوى الطاهر يســوع الغير المائت؟! ويلى ماذا أفعل الآن؟!! وفى تلك الأثناء ظلت المسكينة تتخبط دون مشورة أحد فأتاها أيضاً:

٣ - شيطان الخزى [١] :

إستــغل هذا الشيطان فرصـــة تجول القديس فى الجــبل وحده وملأ عقل الفتاة بأفكار كثيرة فكانت ترثى نفسـها قائلة:

إننى لا أجسر أن أرفع بصرى نحو الــسماء- أنا التى أصبحت ميتة أمام الله والناس فكيف أستطيع الذهاب إلى مغارة عمى وهل أقــدر أن أفــتح فــاى وأتــكلم مع اللّه القــدوس وأنا مـــوحلة بكل الأدناس؟! ولو تجاسرت على هذا الفعــل أفلا تنزل نار من السماء وتحرقنى فأصــبح مثل الرماد؟!!![٢] ماذا أفعل ومــاذا أختار؟ إنه خير لى أن أنطلق إلى مدينة أخرى لايعــرفنى فيها أحد لأنى امرأة شريرة ميتة لا أمل ولا رجاء لها بعد الآن فى مثل هذا المكان...

الأفكار تتجمع معاً عليها

استــولت هذه الأفكار على المسكينة ورجــعت إليهــا أفكار قطع الرجاء فيأســت من إصلاح سيرتها وإذ إستبــدت بها الأفكار جداً قامت مسرعة وذهبــت إلى إحدى المدن ولم يدعها إبليس تقف عند هذا الحد- لأنها قصــدت أحد بيوت الدعارة[*] لتعيش هناك حيث ظلت به نحو سنتين كان القديس إبراهيم أثناءها فى حيرة لأنه لم يعلم ماحدث لها فلذلك كان شديد التضرع والبكاء باحثاً عنها...

وانتظر القــديس مدة طويلة لعل الفــتاة ترجع إلى قــلايتهــا إذ كان يظن أنها ربما قد إنفردت بعض الوقت في الجبل فى خلوة روحية...!!

---

(١) مثل شيطان قطع الرجاء الذى يــأتى حينما يشعر الإنسان بخطاياه وبعدمــا يستفيق من غفلته حتى يمنعه من الاعتراف بخطاياه مما يجعله يهلك بها.

(٢) هذه هى الصــورة الردية التى يصورها لنا عــدو كل بر بافتــرائه على الله المحب للبــشر الذى لايشاء موت الخاطئ مثلما يرجع وتحيا نفسه.

(*) ليــست الرغبــة فى الخطية والأشــواق المكبوتــة هى فقط كل مــايدفع الإنسان إلى عــمل الخطية ويتمادى فيها بل أيضاً اليأس من الخلاص وفقدان الرجاء من الإصلاح.

٤

راعى يبحث عن الحمل الضائع

«كراع صالح سعيت فى طلب الضال، كأب حقيقى تعبت معى أنا الذى سقطت أظهرت عظم إهتمامك بى، أرسلت الأنبياء من أجلى أنا المريض... خدمت لى خلاص لما خالفت ناموسك».

(القداس الغريغورى)

الرب يكشف أمرها للقديس

«يرى شبابكم رؤى ويحلم شيوخكم أحلاماً» (أع ٢ : ١٧)

ظل القديس الشيخ فى حيرته وصلواته الكثـيرة ودموعه غير المنقطعـة طالباً من الله أن يعـرفه مـاذا حدث لإبنتـه إلي أن تحنن الرب الإله على شيخوخته وصبره إذ عرفه فى حلم فى رؤيا الليل خبـرها. حيث أنه شـاهد تنيناً ضخـماً والرعب يمشى فـى ركابه وفي صفيره وكأنه قد خرج من بقـعة ما وقفز إلى قلاية القديس حيث كانت هناك حمامة إفترسها ثم عاد إلى مكانه...

ولما اسـتـيـقظ الأب علي إثر ذلك الحلم أخـذ يبكى وازدادت حيرته لأنه ظن أن الشيطان ربما أثار الإضـطهاد على كنيسة اللّه فـخرج كـثيـرون عن الإيمان وحـادوا عن الطريق... لذلك سجـد القديس علـى الأرض مصلياً بلجـاجة وقائلاً: أنـت أيها الرب الإله العارف بكل شئ محب البشر وحدك عالم بما تعنيه هذه الرؤيا.

تكرار الحلم يكشف حقيقته

بعـد يومين من الحلم الأول كـان القـديس لايزال سـاهراً منذ اليـوم الأول مما اضطره إلى الـرقاد فـنام، ورأى فى نومـه نفس الوحش السـابق فى حلم وقـد دخل القـلاية ووضع رأسـه تحت مخلبيه وإنشق إلى نصفين فوجدت الحـمامة حية داخله فمد الأب يده بسرعة وأخرجها من جوفه.

وعندمـا إستيـقظ القديس مـن نومه مضـى لوقته إلـى قلاية القديسة آملاً أن يجد الصـبية هناك فناداها أولاً من الخارج قائلاً: أيتهـا الصبـية مريم مـا الذى يؤلمك، هوذا لك الآن وقت طويل لم أسمع صوت تسبيحاتك للّه؟.

ولما لم يسمع سوى صدى صوته دخل المغارة فلم يجدها أيضاً ففهم أن هذه الرؤيا التى رآها تخص القديسة لذلك صرخ مولولاً ونادباً إبنته قائلاً:

«الويل لى لأن ذئباً مفترساً قد سرق الحمل، إبنتى الوديعة أخذت فى الأسر... وكان يصلى وينتحب حتى كانت الدموع تخنق كلماته وكان يستغيث باللّه قائلاً يامخلص العالم إرجع إبنتى (مارى) الحمل إلىّ، مرة أخرى، واختطفها للحياة الأبدية لكى لا أموت كمداً عليها فتنحدر شيخوختى بحزن إلى الهاوية... لاتهمل طلبتى ياسيدى- لكن اَللّهم أسرع وأرسل رحمتك لمعونتها وإنقاذها حتى تردها سليمة من جوف الوحش...».

حيلة الشيخ لخلاصها

«... مختطفين من النار مبغضين حتى الثوب الدنس من الجسد» (يهوذا ١ : ٢٣)

«صلوات بعضكم لأجل بعض لكى تشفوا صلاة البار تقتدر كثيراً فى فعلها» (يع ٥ : ١٦ ، ١٧)

مضي هذا الإسبوع المؤلم على نفس الشيخ وكان طواله حزيناً صائماً مصلياً من أجل الفتاة... ثم لما لم يحتمل أكثر من ذلك، طلب إلى أحد أصدقائه القديسين المحبوبين لديه (وهو القديس مار افرآم الذى كان يقضي خلوة روحية فى تلك الأثناء بالقرب من ذلك الأب) أن يبحث معه عن مكان القديسة لعله يأتيه بأخبارها وما انتهت إليه.؟

وبعد عدة أيام عاد مار أفرآم وأخبر الشيخ بما رآه حيث أنه شاهد الفتاة فى منزل (فندق) لارتكاب الخطية...

وكان القـديس الشيخ يقرأ فى التوراة فى ذلك الحين فـتوقف فـجـأة عنـد الآيـة القـائلـة «أنت أشفـقت على اليـقطينة التى لم تتـعب فيـهـا فكيف لا أشـفق أنا على نينوى المدينة العـظيمـة...» (يونان ٤ : ١٠) فقـد إقشر بدنـه مـن هـول مـاسمـع! فلم يجب إلا بكلمات قليلة مـتقطعة حـيث أنه قال لصديقـه: إذهب أعدد لى ملابس عسكرية وحـصاناً. ولما أحضرها له لبسـهـا لوقته وغطى رأسه بقبعة كبيرة لتخفى سماته كما حمل معه مبلغاً من المال.

فقال له صديقه: إلي أين أنت ذاهب؟

فأجـابه : جاهـد معى هذا اليـوم فى الصلوات من أجلى ومن أجلها. فقال له «ليكن إلهنا معك».

وهنا يقول القديس مار افرآم السريانى :

ثم رأيته وقد إمتطى الجـواد بسرعة وقلق شديدين وانطلق به كمـا لو كان غـازياً يريد أن يتجـسس مدينـة أو مملكة ليفـتحـها ويخشى أن يعرف أمره فيهلك ثم لم يلبث أن إختفى عن بصرى.

أم أنا المسكين افـرآم فجثـوت على الأرض منذ ساعـة إنطلاقه وظللت باسطاً يدى فـى حزن شـديد نحـو الأب المساوى وكـانت دموعى تهطل على الأرض وأنا لا أدرى بذلك فقـد هالنى ماحدث وتأسفت لأمـر الفتاة كمـا أثر فى حزن الشيخ وحـيرته الزائدتين وجهاده الشديد لخلاصها...

تعالوا إلينا أيهـا الإخوة المحبوبين فى الرب وتعـجبوا من أجل أبينا إبراهيم المتوحد الذى خرج ليقاتل السلاطين الروحانيين لكى يخلص إبنة أخيه ويختطفها من فم الأسد والدب!»

مواقف عجيبة !!

«صرت للكل كل شئ لأخلص على كل حال قوماً» (١ كو ٩ : ٢٢)

توجـه الآب للتو إلى الفندق الـذى كانت تقـيم فيـه إبنة أخيـه المفقـــودة وبلهفـة شديـدة كانـت عينـاه ترقـبان جمـيع من فى الفنـدق لعله يلمحها. ومرت السـاعات الطويلة ولم يتيسر للشيخ أن يرى الإبنـــة مما إضطره أخـــيــــراً أن يتـــصنع المـــزاح مــع صـــاحــب الفندق قــائلاً «لقـد سمـعت ياصديقى أنه توجـد لديك صبية جميلة!

فأجاب صاحب الفندق وهو ينظر إلى هيبة الشيخ ومركزه:

بالحقيقة كما سمعت توجد هنا فتاة تدعى مريم.

حينئـذ قال له الشيخ وكانت تلوح على قـسمات وجهـه مزيج من البشاشة والحزن: إذهب إحضرها الآن مع العشاء.

ولما حضـــرت الصبيــة بعد برهة وكانت ترتدى مــلابس عديمة الحشمة فأقشــعر بدن الشيخ مخفياً مشاعره ومــحتفظاً ببشاشة وجهــه ومقــاوماً الدمــوع. وذلك لئلا تكتــشف الفتاة أمــره وتلوذ بالفرار.

٥

القديس يحارب التنين ويهزمه

«قتل عبدك الأسد والدب جميعاً».

(اصم ١٧ : ٣٦)

«لأن الحـــرب هـــى للـــرب وهـــو يـــدفعكم لأيدينا»

«إن لى فـى هذه المدينـة أنفـــســـاً»

نقطة التحول !

ابتدأ القديس الذى كـان يرفع قلبه فى داخله أمام اللّه من أجل الفتاة، يتحدث مع الابنة لكن الأمر لم يظل هكذا طويلاً، لأن الابنة قامت واقتـربت من الشيخ... فما لبـثت أن لمحت المسوح التى كان يرتديها أسفل ملابسه العسكرية، كـما اشتمت منه رائحة البخور الزكية ورائحــة عرق النسك المقدس. وأمام كـل هذه الأمور وقفت الفتاة جامدة لاتقدر على الحركة، لأنها ثارت فيها ذكريات حياتها الأولى فى الصحراء.

وياللتأثير العجيب الذى أحدثته تلك الذكريات المقدسة فى قلب هذه الفتاة بصلاة هذا القديس الشــيخ، فكانت كأنها السيف الحاد الذى نفذ إلى أعـماق نفـسها مما جلهـا تتنهد من أعـماقهـا بقوة، فهطلت دمـوعها ويبدو أن آلام الندم أيضـاً بدأت تجتاح نفســها، لذلك صــرخت بـدون وعى منهـا (الويل لى لأنى أتـعس كل بنى البشر) لقد تذكرت الفتاة أيام عفافها فى البرية وأثرت فيها رائحة القداسة التى لهذا القديس... أما صاحب الفندق الئي أذهله الموقف فقال لها. ياماري مـا الذى يؤلمك حتى تنفجرين هكذا بالبكاء؟ لأن لك الآن مدة طويلة لم يسمع منك تنهد ولا أنين.؟

أجابت الفتاة: كنت أبقى سعيدة للغاية لو أنى تركت العالم من مدة طويلة..

وهنا تدارك الأب الموقف خـشيـة أن ينكشف أمره فـتتـمادى الفتـاة فى الحديث فـابتدأ يحـول فكرها عن هذا الحـديث المحزن ويخـفف من سطوة أفكارها. وكـان هو فى أعـمـاق قلبـه يصلى

بحرارة قائلاً (يارب عظيمة هى قوتك ليتك لاتجعلها تعرفنى الآن وأذكر يارب بكثرة رحمتك تنهداتها وصرخاتها حتي تصنع رحمة وتخلص نفسها لأن غير المستطاع عند الناس مستطاع عندك) وبعد ما أنتهى الشيخ من صلاته أخرج قطعة نقود ذهبية من جيبه وصرف بها صاحب الفندق قائلاً: أعد لنا عشاء فاخراً لنسلى هم هذه الصبية لأنى أتيت من سفر بعيد.

القديس يكشف عن سر مشكلة الفتاة ويعالجها

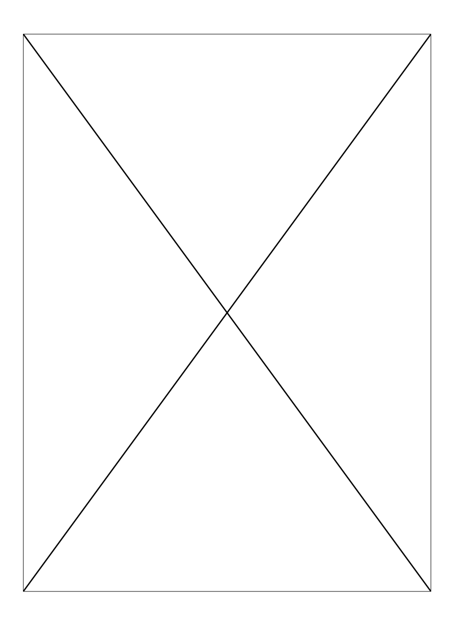
«كل الأشياء تحل لى لكن لايتسلط على شئ»

ابتدأ الشيخ فى تلك الأثناء يحدث نفسه قائلاً (كيف يليق بى أن آكل لحماً فى هذا المكان وأن أشارك هذه النفس الخاطئة، وأفقد سنى نسكى وتقشفى لأجل هذه النفس التائهة!... إن كانت جموع الملائكة تسر حقاً برجوع الخاطئ عن ضلاله فكم بالأحرى يجب علىّ؟)

لقد تصرف الشيخ حسناً بأكله مع الإبنة الضالة وذلك لكيما يخلص نفسها من مخالب الأسد ويطلقها من أسر اليأس والشعور بفقدان الأمل فى إصلاح سيرتها. ياله من موقف عجيب وضرورى من أب مرشد مختبر بالنسبة لإبنته الروحية التى سقطت؟!

إستغل الشيخ تلك اللحظة وابتدأ يخاطب نفسها قائلاً (ياقديسة يا إبنة المسيح، هل أنت مسرورة ومقتنعة بما أنت فيه!! أو أنك غير فاهمة؟ لقد كنت كل أيامك ترقدين على حصير كيف

ترتفعين إلى مثل هذا السرير...! إنظرى لقد أتيت من أجلك وأكلت وشربت معك، كل هذا لكى أعـرفك كم يحب الرب رجوعك ويعمل لكيما ترجعى إلى رتبتك الأولى وتــخلص نفسك التائهة. ثم أعقب لوقته بصــوت معروف لها (يا إبنتى يامــارى) ثم جذبها من يدها خالعــاً لوقتــه قبــعتــه التى كان يرتديهــا ثم قال لهــا: يا إبنتى ألا تعــرفيننى ؟ ألم أكن أنا الــذى ربيتك. من الذى أفــسدك!؟ وكــانت كلماته مختلطة ببكاء مر.



٦

توبتها ورجوعها

«لكن تـوبى يانفـــسى مـــادمت فى الأرض ساكنة».

(صلاة النوم)

«الرب يقيم الساقطين»

(مز ١٤٦ : ١٠)

تأنيب المحبة

استطرد الأب يقـول لإبنة أخيه- التـى كانت لاتزال طوال تلك الفترة جامدة كالحجر من الخوف والخزى. «كيف سقطت من علو السـماء إلى هذا الحـضيض يا إبنتى؟... لماذا لم تخـبرينى عنـدما أخطأت بأمرك حـتى تركت نفسك فى يد الذئب ليفـترسك هكذا!! كيف أوصلت نفسك إلى هذه الخسارة الفادحة؟ ثم عاد الأب يبكى بحرقة» يا إبنتى لماذا لاتريدين أن تتحدثى معى؟ لقد أتيت بسببك إلى هذا المكان...

«دعى عنك هذا الحمل واتركى هذا الإثم لمن هو قادر وحده أن يحتـمله عنا، واتركى تعب الطريق على فـسوف أحتـمل عنك تعب الصوم والجهاد حتى ترجعى إلى رتبتك الأولى».

وظل القديس يكلمـها ويعزي نفـسها إلى منتـصف الليل حتى أقامـها من بالوعـة اليأس ومن الكابـة التى حلت بها فـتشـجعت الفتاة رويداً رويداً حينما أحست بمحبـة الشيخ العميقة لها والتي كانت تعكس لها محبة الرب للخاطئ الراجع، فتجاوبت معه أخيراً وكانت كلماتها تنساب من فمها تنزلق مع دموع التوبة فقالت:

«لا أسـتطـيع يا أبى أن أنظر إلى وجـهك من فـرط خـزيىى وعارى، بل كيف أرفع عينى الشـريرتين إلى السماء نحو اللّه وأنا ملوثة بكل الأوحال الدنسة؟!».

اعترافها

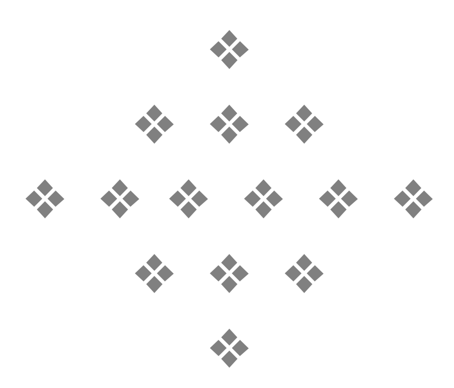
... لما أخبرته بخطاياها حينئذ قال لهـا الشيخ كاشفاً عن عظمة سر الإعتراف «خطيتك على أنا يا إبنتى أنا المسئول عنك أمام اللّه. فقط أصـغ إلىّ وأطيعى كلامى وهلم الآن بنا كيما نعود إلى البرية وأرجو أن تكونى واثقة ومؤمنة بمراحم الرب وخلاصه ومواعيده الثابتة كـالجبال فى قبـول الخاطئ الراجع. فأجابتـه والإنسحاق يملأ نفسـها والخزى يغطى وجـهها. إذا كنت واثقـة إنى أستطيع أنى أتوب، وأن الله يقبل توبتى سوف أعود مـعك كما أمرتنى. ثم إنها لما انتـهت من كلامهـا المر إرتمت تحت رجليه باكـية منتحـبة وكانت دموعها تندفع بغزارة من عينها كأنها مياه كانت محجوزة منذ زمان طويل واجـتاحت نفسـهـا موجة من الخشـوع لكنها مع ذلك كانت تشـعر بالراحة والتـعزية! وكان القـديس يجاهد معـها مبيناً لها ما صنعه الرب مع الخاطئة التي جاءت إليه فهى لم توثر على قداسته بل هو قدسها وقد خرجت مبررة من أمامه.

ثم قال لهـا: إنه ليس بجديد أن تميل طبـيعتنـا إلى الخطية بل الغريب هو أن نـبقى فى خطايانا بعـدما سقطنا... إفـتحى عـيون ذهنك وإطرحى عنك كلام العـدو إبليس الذى سيكشف لك بؤسك إلي الدرجة التى فيها يخفى عنك قوة قيامة مخلصنا.

ثم أقامـها ماسكـاً بيدها وقامـا كلاهما مـسرعين قبـلما يطلع النهار وانصرفا من الفندق دون أن يعلم بهما أحد.

اثار الخطية تحاربها

كانت الفتاة تتباطأ جداً ولولا دفع الشيخ لها بقوة ما كانت خرجت معه بسرعة ثم إحتجت له بأن لديها بالفندق بعض الذهب والملابس التى اكتسبتها من جراء حياتها الشريرة، لكن القديس قال لها: ينبغى أن تتركى هذه الأمور لكى تكمل توبتك لأنها اكتسبت في طريق الشر كما أنها تذكرك بحياتك الشريرة، ولما قال هذا أردف قائلاً: لنترك ما هو وراء وهلم بنا ثم أركبها علي جواده وانطلقا معاً... ومن يستطيع أن يصف فرحة هذا القديس فى اللحظة التى انطلق مع ابنة أخيه التائبة؟! فإنها مثل فرحة الراعى الصالح الذى وجد خروفه الضال وحمله علي منكبيه فرحاً، وهكذا عاد بها مختطفاً إياها من فم الأسد والدب.





نهاية مفرحة

«أفرحوا معى لأنى وجدت خروفى الضال».

(لو ١٥ : ٥)

«لا أعود أذكر خطايا»

«عظيم هو خلاصه وهو يفدى شعبه من كل آثامه»

(مز ١٣٠ : ٨)

عودة الفتاة إلي حياة القداسة

رجعت الفتاة إلى مغارتها وهناك أمضت بقية حياتها فى إنسحاق وخشوع ودموع فى الصلوات، تبكى خطاياها وآثامها لأن الرجاء بدأ يملأ قلبها، ومن كان يراها وهى نائحة لابد أنه يعطي الشكر للّه ويقول لها طوباك لقد غفرت خطاياك الكثيرة...!

نياحة أنبا إبراهيم المتوحد

وقد عاش القديس إبراهيم بعد رجوع إبنة أخيه وبعدما رأى صدق توبتها ومجد اسم الرب فيها، ففرح ورقد فى الرب بسلام بالغاً من العمر ٨٥ عاماً. وكان ذلك فى ٣٠ بابه، صلاته تكون معنا آمين.

نياحة القديسة التائبة

«الآن ياسيد اطلق عبدك بسلام... لأن عينى قد أبصرتا خلاصك» (لو ٢ : ٢٩)

«الرب يشفى المنكسرى القلب ويجبر جميع كسرهم» (مز ١٤٧ : ٣)

عاشت القديسة بعد نياحة عمها خمس سنوات في سهر ويقظة دائمة، مواصلة الليل بالنهار فى الصلاة والإنسحاق أمام الله لعله يقبل توبتها ودموعها، وكان كل من يعبر أثناء الليل على مغارتها ويسمع صوت بكائها يتحول هو الآخر إلى البكاء من فرط تأثره. وأعطاها الرب علامة الصفح عن خطاياها فأنعم عليها بمواهب شفاء فى نهاية أيامها، فكان المرضى يأتون إليها وكانت تصلى إلى الرب من أجلهم فينالون الشفاء. وظلت هكذا حتى دنت ساعة انطلاقها من العالم فكان وجهها يضئ كالمصباح وانطلقت إلي مكان الأبرار، صلاة هذه القديسة التائبة تكون معنا ولربنا المجد دائماً أبدياً آمين،

إفرحوا معي ... موقف قديس

وهنا نرى القديس العظيم مار افرآم يختم هذه القصة بصلاة جاء فيها «أما أنا افرآم فحالما كتبت كل ماحدث من أمر هذه القديسة وضعت قلمى وجثوت أمام الله صارخاً قائلاً: الويل لى أنا المسكين. إن أولئك المحبوبين إنطلقوا من العالم ونفوسهم متقدة حباً بك، أما أنا فقد هجم على الشتاء وهبت على العواصف وأنا عريان... إنى متعجب من نفسى كيف أتوب ثم أخطئ، أبنى وفى ساعة إنقض مابنيت، فى المساء أصمم علي التوبة، وإذا ما أتى الصباح أصرف نهارى فى اللهو، أرجو الرب بدموع أن يغفر زلاتى وأعده بأن أسهر على حياتى، وفى وقت الليل أثقل بالنوم، ويلى لأن أولئك تاجروا بالوزنات وأنا خبأتها فى الأرض، هؤلاء كانت لهم فرصة التوبة، أما أنا فربما لايكون لي، لذلك إرحمنى يارب وخلصنى أيها الشفوق وحدك المحب للبشر، فأنا لا أعرف آخر سواك، أخرج نفسى من حبس الخطية، إحمنى تحت أجنحتك فى ذلك اليوم العظيم المخوف آمين».

مراجع الكتاب

1 - O’Leary
2 - Cheneau.
3 - Rene Basse.
4 - Desert Fathers.

٥ – مروج الأخيار.
٦ – العيشة الهنية فى الحياة النسكية.
٧ – سنكسار الكنيسة القبطية الأرثوذكسية.
٨ – سنكسار الكنيسة اللاتينية.

الفهـرس